

## البعد العسكري الاستراتيجي لنقط الماء في الأندلس (92-422 هـ/ 711-1031 م)

### The military-strategic dimension of water points in Andalusia (92-422 AH/ 711-1031 AD)

|                                               |                                                   |                                           |
|-----------------------------------------------|---------------------------------------------------|-------------------------------------------|
| جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم/<br>الجزائر | تاريخ وحضارة<br>الغرب الإسلامي في<br>العصر الوسيط | بن يوسف الحاج<br>hadjbenyoucef1@gmail.com |
| جامعة جيلالي لباس- سيدي بلعباس/<br>الجزائر    | نصوص ووثائق<br>تاريخ الجزائر<br>المعاصر           | عليوة التركي<br>aliouatorki5@gmail.com    |
| DOI :                                         |                                                   |                                           |

الإرسال: 2025/10/15 القبول: 2025/12/12 النشر: 2025/12/20

#### ملخص:

شكلت نقط الماء محطات ذات بعد استراتيجي بالنسبة للجيش خلال المواجهات العسكرية، مما استوجب على القائد العسكري خلال وضعه لخطة تحرك جيوشه أن يأخذ بعين الاعتبار تحديد دقيق لنقط الماء، وهذا ما تشير إليه الكثير من الشواهد التاريخية في النصوص المصدرة الأندلسية، فاستغلال نقاط الماء المحيطة بموقع الإنزال والتعسكر، إضافة إلى استغلال ما يحتويه الموقع من مميزات أخرى كالجبال والقناطر والعيون والآبار تعتبر ذات أهمية في التقدم للهجوم ومن ثم الظفر بالنصر، ونصب الكمان وتجنّبها، وحتى في عملية الفرار والتراجع.

ومنه، نجد في الأندلس خلال فترة الدراسة أنّ نقط الماء شكّلت مواقع ممتازة لإنزال الجيوش والاستفادة منها في التحصين طبيعياً وأداة للضغط والحصار والتعطيش.

لذا حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على تأثير نقط الماء في العمليات العسكرية بالأندلس خلال فترة الفتح وعهد بني أمية (92-422 هـ/ 711-1031 م)، والبحث في أشكال استخدام نقط الماء في المخططات الحربية لقادة الجيوش في الأندلس، وقد توصلنا إلى مدى إدراك قادة الجيوش الأندلسية لأهمية نقط الماء في المجال الحربي وذلك بالاستغلال الأمثل لها لإنجاح العمليات العسكرية وتحقيق النصر.

**كلمات مفتاحية:** نقط الماء؛ المجال الحربي؛ التحصين؛ الحصار؛ التعطيش؛ التعسكر.

#### Abstract:

Water points constituted sites of strategic significance for the army during military confrontations, which required a military commander, when drawing up a plan for moving his forces, to take precise identification of water points into account. Many historical testimonies in Andalusian primary texts point to this: exploiting the water points surrounding a landing and encampment site, in addition to making use of other advantages the location offered—such as mountains, aqueducts, springs, and wells—was important for advancing an attack and thereby securing victory, for setting ambushes and avoiding them, and even for retreat and withdrawal operations.

Accordingly, during the period under study in al-Andalus we find that water points formed excellent sites for landing armies, for using natural fortification, and as tools of pressure, siege, and denial of water.

Therefore, in this research paper we sought to shed light on the influence of water points on military operations in al-Andalus during the period of the conquest and the Umayyad era (92–422 AH / 711–1031 CE), and to examine the ways commanders used water points in their war plans. We found that Andalusian military leaders were well aware of the importance of water points in warfare and made optimal use of them to ensure the success of military operations and achieve victory.

**Keywords :** Water points; War zone; Fortification; Siege; Thirst; Encampment.

## مقدمة:

نوه المؤرخون إلى أهمية الماء في الحرب، وأنه يلزم على القائد إنزال عسكره في موضع يستند إليه وعلى مقربة من الماء، فالماء ضروري في كسب المعارك وحسمها، وهو مادة أساسية لسير الجيوش ونظامها، سواء من ناحية التزود والتموين، أو من ناحية إعداد الخطة ونصب الكمين، خاصة أمام ما تفرضه الطبيعة من متغيرات تؤثر بشكل واضح على مقومات الحرب وسلامة الجند ومواقيت سير الجيوش وتحركاتها، فحسن استغلال الظروف المناخية لا يقل أهمية عن حسن اختيار الموقع (الطرطوشي، 1994)، لذا وجب على القائد العسكري حسن استغلال الموقع وتحسين أنسب الظروف للقيام بالحرب والتخطيط لها. وهذا ما سنحاول توضيحه أكثر من خلال ما يلي:

## أولاً: اختيار الموقع (النزول وحصانة الموقع):

تمثلت الأرض على الدوام موضع النزاع، لذا كان القادة العسكريون عند التخطيط للمعركة يقدِّرون أهمية الموقع وما يحيط به من عناصر طبيعية أهمها نقط الماء، لذا قيل: "قَتَلَتْ أرض جاهلها، وقَتَلَتْ أرضاً عالمها" (النويري، 2004)، فقد نوه أحد الباحثين إلى

أهمية جغرافية المكان من أجل استخدامها والاستفادة منها في الأغراض العسكرية، لأنها تشكل قواعد العمل الرئيسية في التحليل الحربي (سبيتان، 2012).

وانطلاقاً من القول أنه ينبغي على قائد الجيش أن يحسن اختيار الموقع لتعسكر قواته، وبالعودة إلى الجدول الإحصائي نجد أن الأندلس عرفت خلال فترة الفتح إلى غاية نهاية الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م) عدة مواجهات حربية برية وصدامات عسكرية قامت على موضع به ماء، أو قريباً منه، سواء كانت هذه المواضع أودية أو أنهاراً أو عيوناً وغيرها من مصادر الماء الطبيعية، فقد كانت هذه النقاط المائية بمثابة الحصن الطبيعي والمحور الدفاعي الأول، أهمها موقع وادي لكّة الغني بمصادر المياه، حيث وقعت على هذا الموضع المعركة الشهيرة باسم معركة وادي لكّة، فحسب ما تشير إليه المصادر، فإن طارق بن زياد أنزل جيشه وعسكر بهذه المنطقة انتظاراً لجند لوذريق، وحدثت المواجهة بينهما، وكان هذا النهر بمثابة حاجز طبيعي يحول بين جيش طارق وجيش القوط (مؤنس، 2008)؛ فاختيار طارق لهذا المكان له أبعاد استراتيجية وعسكرية مهمة، خاصة وأنه قد كان في ميسرته بحيرة فهي ناحية آمنة تماماً (السرجاني، 2010).

الجدير بالذكر أنّ عملية التحصين عند طارق لم تعتمد على الماء بشكل كلي، بل استغل ما يحيط بهذا الموقع من مقومات وعناصر طبيعية كالجبال؛ فالجبال المحيطة بالموقع الذي يتوفر على ماء تكون سنداً للقائد في تنفيذ خطته الحربية وتحصين موقعه، ومنه فقد استغل طارق الجبال التي من خلفه وعن يمينه، وبها حوى ظهره وميمينته، حيث صعبت محاصرته، ثم وضع على المدخل الجنوبي لهذا الوادي-أي في ظهره- فرقة قوية بقيادة طريف بن مالك حتى لا يباغت أحد ظهر المسلمين، ومن ثم استطاع أن يفرض على العدو أن يجابهه من جهة واحدة هي جهة الشمال، كما استطاع أن يستدرج قوات العدو من الناحية الأمامية إلى هذه المنطقة، ويستبعد الالتفاف حوله (سويد، 1990).

بعد هزيمة القوط في معركة وادي لكّة، واصل طارق سير حملاته العسكرية استكمالاً للفتح حتى وصوله استجة، حيث نزل بها على موضع به ماء سنة 92هـ/711م، وهو نهر شنيل، وهنا يظهر أن الماء والتحصين به كان ضمن الخطة الأساسية لنزول جيش طارق ومسيره، حتى أنه ضرب الحصار على صاحب استجة.

باستكمال فتح استجة، أرسل طارق أحد قادة جنده وهو مغيث الرومي إلى قرطبة، وهذا الأخير لم يبتعد عن نهج قائده في حسن اختيار موضع به ماء للنزول والتحصن، فحينما وصل إلى قرطبة سنة (92هـ/711م)، عبروا نهر الوادي الكبير في عدوة نهر شقندة، ومنه أصبح النهر في ظهورهم وحصنا طبيعيا يحميهم من الجهة الخلفية.

توجه طارق إلى طليطلة دار مملكة القوط سنة (93هـ/712م) فسلك واد يعرف بوادي الحجرة، تحصّن به، ثم التقى بموسى بن نصير بمنطقة تقع بين طليطلة وماردة يطلق عليها اسم المعرض، ولا شك أن اختيار هذا الموضع لالتقاء الجيشين لا يخلو من بُعد عسكري، فالمعسكر يقع بين نهري تاجة والتيتار (عباس، 2018).

الواضح أن اتباع الحصانة الطبيعية التي تتوفر على نقاط الماء لم تعتمد عليها مخططات طارق وقادة جنوده فقط، بل حتى موسى بن نصير كانت له دراية بأهمية نقط الماء في التموضع والنزول، حيث عسكر بجنده ونزل بهم عند النهر العظيم بإشبيلية لفتحها سنة (94هـ/713م)، وهو ما يثبت مدى الوعي العسكري عند موسى بن نصير في استغلال الحصانة الطبيعية لمدينة إشبيلية وفتحها دون مقاومة، واتخاذها قاعدة عسكرية لتحمي المسلمين من أي هجمات (سالم، 1997).

بعد استكمال عملية الفتح، أصبحت الأندلس إسلامية، وتمهيدا لقيام خلافة قرطبة، توجه عبد الرحمن الداخل بجيشه نحو المصارة سنة (138هـ/755م) (ابن عذاري، 2009)، أين نزل بنهر الوادي الكبير، والتقى مع يوسف الفهري وجنده، واتخذ كل منهما ضفة أو جهة من النهر ليحول بينهما، ويكون النهر بذلك نقطة تتموضع حولها العساكر والجنود وتتحصن بها طبيعياً، مما يدل على أهمية الماء في الدفاع بالمقام الأول (عنان، 1997).

نقط الماء هي محطات ذات بعد عسكري استراتيجي بالنسبة للجند خلال المعارك لا يمكن تجاهل أهميتها (بن حمادة، 2013)، ولعل وقوع عدة معارك على ضفاف الأودية والأنهار دليل على ذلك، حيث نجد أنه بعد معركة المصارة، نشبت عدة معارك وغزوات ركّز فيها القادة العسكريون على اتخاذ ضفاف الأودية والأنهار كمكان نزول للجيش أو التقدم والتحصين بالضفة طبيعياً، منها ما حدث في 07 ذي القعدة (200هـ/815م)، أين وجّه

الحكم وزيره عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد المشركين، وأقبلت الجموع ونزلت بعدوة نهر آرون، ويذكر ابن عذاري أن النهر كان حاجزاً بين المسلمين والمشركين، فكان سبيل دفاع لكلا الجيشين. وهو ما يدل على حسن اختيار موقع النزول (ابن عذاري، 2009).

من بين تلك الغزوات غزوة ألبه والقلاع (هزيمة المركوبز 251هـ/865م) حيث اتخذت هذه المعركة موقعين حصينين طبيعياً حيث نزل عبد الرحمن بن الأمير محمد أولاً قرب نهر دويرو ومن ثم تقدم بجيشه نحو وادي إبرة (ابن عذاري، 2009). وعلى نفس النهر-نهر دويرو- يظهر من خلال الجدول الإحصائي أنه وقعت على ضفافه أو بالقرب منه عدة معارك منها: غزوة سمورة الأولى (368هـ/978م) حدثت على نهر دويرو، وغزوة ليون (372هـ/982م) وراء نهر دويرو، وغزوة شنت ياقب (387هـ/997م) كانت على عدة أنهار كبيرة منها نهر دويرو أحد المواقع التي نزل وعسكر بها جيش المنصور بن أبي عامر، وغزوة عبد الملك المظفر الخامسة المعروفة بغزوة النصر (397هـ/1006م)، كانت على ضفة نهر دويرو، وغزوة عبد الملك المظفر السادسة (398هـ/1007م) كانت في حصن شنت مرتين على ضفة نهر الدويرو (ابن عذاري، 2009).

ولعل سبب اختيار ضفة نهر دويرو يعود لامتيازه بحصانة طبيعية وكونه يمتاز بغزارة مياهه ومناعة ضفافه، فهو ينبع من جبال بريرة بجيليقيية ويمر بمدينة شنت برية ويصب في المحيط، فيما بين قلمرية والبرتقال، وعدد أمياله خمسمائة ميل وثمانين ميلاً (الزهري، 0000).

كما تشير المصادر إلى عدة معارك أخرى اتخذ فيها القادة العسكريون من ضفاف الأودية والأنهار أماكن للنزول وسير الجيش، منها غزوة تدمير ومُرسية ولورقة (283هـ/896م)، وكانت الغزوة بالقرب من وادي بُلُون ووادي طادرو (ابن حيان القرطبي، 1990)، وموقعة (299هـ/911م) كانت أحداثها على موقعين هما وادي برشلونة ووادي طَرَاة، وموقعة (312هـ/924م) كانت على مقربة واد يعرف بوادي هيغة (ابن عذاري، 2009)، وغزوة المُنْيَة (370هـ/980م) على وادي مَنِيْه، وغزوة مونت ميور (380هـ/990م) على نهر منديق بقلمرية (العذري، 1965).

في نفس السياق، زدتنا المصادر بأحداث ومعارك وقعت مجرياتها على مقربة من مصادر المياه دون ذكر اسم الموقع المائي، ونذكر منها غزوة شانت مانكس (373هـ/983م) وغزوة قلمرية (376هـ/986م)، التي يذكر ابن حيان والعذري أنهما كانتا على نهر (العذري، 1965).

وعليه، كان على قائد الجيش أن يأخذ بعين الاعتبار مسألة تحديد نقاط الماء وضبط المسافة بين كل نقطة وأخرى في تديره لخطة نقل المقاتلين وأمكنة تربصهم (لبنى، 2016)، فحسن اختيار قائد الجيش لموقع إنزال قواته ضروري، إذ يجب أن لا يبتعد عن نقاط الماء، وذلك لما توفره هذه النقاط من حصانة طبيعية تحميه من الهجمات المباغتة، كما أنها تعتبر بداية للهجوم وشن الغارات البرية وكذلك سلاح يستغل للضغط وإجبار الخصم على الاستسلام.

### ثانياً: نقط الماء والاستراتيجية الحربية (الراحة والتزود):

تتجسد الأهمية الحربية لنقط الماء من خلال رصد موقع الماء لتدبير المجال الحربي، لذا شدّد الماوردي على أن يكون موقع إنزال الجيش مكاناً أكثر مرعى وماءً...، فالمكان الذي يحتوي على الماء والمرعى مكان استراتيجي لنزول الجيش للاستزادة والتقوية، وعامل مساعد في المنازلة والمرابطة (الشيرزي، 2002).

وعليه، تتطلب المعارك والغزوات البعيدة تنقل الجيوش وحركتها عبر مسافات طويلة وطول فترات، ومرورها بمجالات جغرافية متنوعة، وما كانت تسببه من متاعب للجند كالعطش، وهو ما يحتّم توفر كميات ماء كافية، وأمام هذه الوضعية يجب على القائد العسكري مراعاة قدرات الجنود وكمية المؤونة التي يحملونها خاصة كميات الماء، ويحثون الجند أثناء الاستعدادات الحربية على حفظ جميع ما يتحصل من الغلات، وأن يترك الزرع في سنبله، ويخزن في مواضعه، وأن يحفروا الآبار في الطرق (لبنى، 2016)، وركن أسوار المدن لإمداد السكان وتزويدهم بالماء خاصة أثناء الحصار (بن حمادة، 2013).

إنّ اختيار القادة المسلمين بالأندلس خلال الفترة قيد الدراسة لطرق ومسالك بها نقاط ماء، لم يكن عفويّاً بل كان عن تخطيط مسبق. فلا شك أن المقاتلين بحاجة إلى المياه الصالحة للشرب، سواء منها ما كان طبيعياً ينبع من الأرض كالعيون، أو منها ما حرص

المسلمون على استحداثها وتهيتها أثناء المسير كالأبار، حتى أن بعض هذه المواقع نُسب إلى القادة الذين مروا بها، وهذا ما نلمسه على سبيل المثال حول العيون التي تبعد عن استجة بأربعة أميال، والتي مر بها طارق أثناء توجهه لفتح هذه المدينة وشرب من مائها، لذلك سميت هذه العيون بـ"عيون طارق".

كذلك من الشواهد على استغلال نقط الماء في التزود، نجد استعذاب موسى بن نصير لمياه رافد جلق الذي يصب في نهر إبرة، لذلك لم يتردد هذا القائد من الاستفادة من مياهه العذبة والشرب منها (المقري، 1968).

كما كانت بعض المواجهات الحربية التي قادها الأمير المنصور بن أبي عامر بالأندلس خلال (ق5هـ/11م)، تتضمن: "مائة رأس...تحمل أرحاء الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الأزود، والسقائين...ومائتي زوج من أزواج المطاحن" (الناصري، 1997)، وهو ما يؤكد أن عملية التزود لم تقتصر فقط على الماء كعنصر لسير أو راحة الجيش، بل حتى المؤن من الطعام وأعلاف الدواب، منها القمح والشعير وغيرها من مصادر الأكل، حيث يذكر ابن أبي زيد القيرواني والقرافي أن مواطن الخصب التي يصادفها المحارب في طريقه إلى الحرب عاملٌ إيجابيٌ بحيث يسمح للدواب بالرعي وتجديد طاقتها (القيرواني، 1999).

ومنه يمكن القول أن قادة الجيوش الإسلامية بالأندلس، أفادتهم مجاري أنهار شبه الجزيرة التي كانوا يجدونها في طريقهم، للتقدم على طول ضفافها، والتزود بما يكفي من الماء للجنود والحياد، انطلاقاً من الجنوب حيث باب دخولهم، ثم سرعان ما انتقلوا عبر الأحواض النهرية عبوراً إلى كل أنحاء شبه الجزيرة (عبد الرحمن جاه، 2015).

وعلى العكس من ذلك، فقد يُعزى سوء تقدير القائد لظروف الحرب وعدم مراعاة قدرات الجنود وكميات المؤونة خاصة الماء، بأثر سلبي سواء على حركة الجنود أو قدرتهم على المواصلة والمنازلة وحتى الدواب المرافقة للجيش، ومن أمثلة ذلك ما حدث سنة (283هـ/896م)، لما "أخرج الأمير عبد الله على العسكر هشام بن عبد الرحمن ابن الحكم إلى كورة تدمير، في أواخر ربيع الأول، وكان القائد معه على الجيش أحمد بن أبي عبدة، ولما احتل بوادي بلون، تقدم قطع من الخيل، فافتتح هنالك حصنا، وغنم ما كان فيه، وتوافدت على العسكر حشود أهل الكور، ثم انتقل وطوى المراحل حتى حل بمرسية، ثم

انتقل إلى لورقة، فخرج إليه ديسم ابن اسحاق، فحاربه، فهُزم ديسم، ورجع إلى لورقة وأقام محاصراً حتى قفل عنه العسكر. ثم خرج ديسم بمن معه، فضرَب في الساقة، فرجع إليه، فهُزم وأُتبع حتى استغاث بالوعر ونجا راجلاً، وأخذ فرسه، وقفل العسكر سالماً، وفُقد في هذه الغزاة الماء، ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً، وهلكت دواب كثيرة" (ابن عذاري، 2009).

يظهر مما سبق أن الحرب تتطلب توفر كميات كافية من الماء للتزود، أو تتبع نقط الماء المحيطة بموقع النزول استعداداً للمعارك عبر استغلال تلك النقاط في عملية الإمداد وبالتالي كسب المعركة، وعدم مراعاة ذلك يؤدي إلى تحمل آثار وخيمة على الجيش، وهو ما حدث أيضاً مع المنصور بن أبي عامر في غزوة بطريسة، حيث مات من عسكره سبعمائة رجل عطشاً (مجهول، 1983). وحسب ما يشير إليه الباحث محمد بشير العامري فإن سبب عطش الجنود وموتهم هو قطع مياه النهر عنهم من الأعداء، ومنه يظهر عدم حسن واستغلال المنصور لظروف الحرب ومتطلباتها.

### ثالثاً: الحصار والضغط:

تعتمد الخطة الحربية على استخدام نقط الماء بمختلف الأشكال، ومنها استخدامها كوسيلة حرب وأداة للضغط والحصار والتعطيش، إذ يعد الماء سلاحاً لا يقل فتكاً عن الأسلحة التي تُستخدم في إضعاف العدو (دريدي، 2017)؛ وفي هذا الإطار يعد الحُباب بن المنذر أول من استخدم الماء في الحرب فقد روى البيهقي قال: "استشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر، فقال الحباب بن المنذر نرى أن تُغَوَّر المياه كلها غير ماء واحد فنلقى القوم عليه" (البيهقي، 2003)، وروي عن علي بن أبي طالب قال: "أمرني رسول الله أن أغَوَّر مياه بدر" (ابن بطال، 2003)، ومن هنا وجب على القائد العسكري أن يعمل على حرمان العدو من هذه المادة الحيوية فيكون سبباً في انهزام الخصم واستسلامه، خاصة وأن الماء عنصر ضروري في المنطقة التي ضرب عليها الحصار.

ولا تعوزنا النصوص المصدريّة الدالة على أن الماء استخدم في حروب الأندلس كوسيلة للضغط والحصار لإجبار العدو على الرضوخ للأمر الواقع والاستسلام، خاصة وأن مصنفات الفقه المالكي أشارت إلى الماء في سياق تشريعها لأدبيات الحرب، فأقرت

استعماله كوسيلة من وسائل الهجوم لإضعاف الأعداء الذين يتحصنون في حصن فيصعب الوصول إليهم عندئذ: "يُلقي عليهم الماء ليغرقوا ويُقطع عنهم مجراه"، وهو نفس ما يتوجه إليه الماوردي في أحكامه حين ذكر أنه يجوز تغوير وقطع الماء عن الأعداء وإن كان فيهم نساء وأطفال؛ لأنه من أقوى أسباب ضعفهم والظفر بهم عنوة و صلحاً.

وتسعفنا النصوص في هذا الإطار بأمثلة متعددة يمكن أن نذكر منها ما أشارت إليه المصادر حول محاصرة مغيث للكنيسة الواقعة غربي مدينة قرطبة، وهي كنيسة شنت أجنح الحصينة (مجهول، 1983)، حيث تحصن لوزريق بهذه الكنيسة مع أصحابه بعد فراره من قرطبة، فلاحقه القائد مغيث وجنوده، وأقام مغيث الحصار على المكان لمدة ثلاثة أشهر (ابن عذاري، 2009).

في السياق نفسه، استصعب مغيث فتح الكنيسة بداية الأمر وطال أمد الحصار نظراً لحصانتها، وكان الماء يأتيها تحت الأرض من عين في سفح جبل، وهو ما كان سبباً في صمود المتحصنين داخلها، إلا أن مغيث تقدم إلى أحد عبيده من السود كان ذا بأس ونجدة، لعله يأتيه بعلج يقف به على خبر القوم، فبصر به أهل الكنيسة ولم يكونوا قد رأوا عبداً أسود قبله، فأرادوا التأكد من لونه وأدنوه إلى القناة التي منها كان يأتيهم الماء لغسله، ومكث في الأسر مدة سبعة أيام، إلى أن يسّر الله له الخلاص، ففر وأتى الأمير مغيث وأطلعته على موضع الماء الذي ينتابونه ومن أي ناحية يأتيهم، فأمر مغيث بالبحث عنها حتى أصابوها فأوقفوا جريانها إلى الكنيسة وسدوا منافذها، فأيقن أهل الكنيسة بالهلاك (المقري، 1968).

وعن فتح مدينة إشبيلية الذي استمر عدة أشهر، لم تكن السيطرة عليها بالأمر السهل وذلك لمناعتها وتحصينها؛ فموقعها على نهر الوادي الكبير ساعد حاميتها على التصدي للمهاجمين والصمود في وجههم، لكن الله فتحها للمسلمين بعد حصار طويل (الأندلسي، 1970).

ومن غير المستبعد أن هذا الحصار شمل المؤونة والماء، مما تسبب في مجاعة سكانها؛ الأمر الذي دفعهم إلى فتح المدينة للمسلمين، وهذا القول تؤكدته إحدى الدراسات في أن فتح مدينة إشبيلية كان على يد سكانها بعدما اشتد عليهم الجوع بسبب حصار

المسلمين لمدينتهم، وغافلوا الحراس ليلاً، وفتحوا الأبواب لجيش المسلمين ليدخلوها فاتحين.

وفي سنة (165هـ/781م) ذكر ابن عذاري أن جيوش الإمام بن معاوية الذين حاصروا سرقسطة -التي كانت تحت حكم الثائر سليمان بن يقظان الأعرابي- منعوا عنه مورد الماء "فوجّه الإمام ثعلبة بن عبيد قائداً ومحارباً في جيش كثيف فنزل سرقسطة وأقام بها أياماً ثم إن الأعرابي احتال له واغتاله وهجم عليه في سرادقه وأخذ ثعلبة أسيراً وانهمزم العسكر... فلما سأل الإمام عن مصير ثعلبة وعسكره... تأهب للغزو واحتفل في الحشد، فلما صار في كورة شنتبرية وبها هلال في حصن يسمى بشتنة نزل عليه ومنعه الماء ففتحت القلعة وأخذ هلال ومن معه فحبسوا بها في دار كانت بموضع السجن اليوم... وبذلك يسمى سجن قرطبة بشتنة على اسم القلعة التي كان فيها هلال" (ابن عذاري، 2009).

وبالموازاة مع ذلك نذكر أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238-273هـ/852-886م)، ضرب الحصار حول القلاع الثائرة (ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي<sup>1</sup> بقلعة الحنش جنوب ماردة، ثورة مكحول ابن عمر بقلعة جلمانية)، وقطع عنها الماء، واشتدّ في ذلك، وجنده ترهق المحصورين كلما طلبوا الحصول على الماء والمؤن خارج الأسوار، فلما ضاقوا بالحصار درعاً طلبوا الأمان (السلم)، فوافق الأمير محمد على ذلك، على أن ينصرفوا إلى بطليوس ويقومون بتعميرها (عنان، 1997).

في السياق نفسه، روى ابن السّمّاك العاملي الغرناطي عن مقاومة عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912-961م) لابن حفصون في حصن شُبّالَش المُطل على سفح جبال البشرات إلى الجنوب الشرقي لمدينة غرناطة بقوله: "أشرف عليه بعض السفهاء من رجال عمر بن حفصون بالذم والاحتقار...، وكان فيه جمهرة من رجال عمر بن حفصون لهم بأس وفيهم شدة تمنّعوا حداً، وألحّ الناصر عليهم في قتالهم، وبني رجلاً عليهم نصب المنجنيق عليه، فأصابهم بأحجارها، وقطع الماء عنهم حتى قهرهم، وافتتح الحصن عنوة، وقتل من

(<sup>1</sup>)- ابن مروان الجليقي: هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس أبوه كان حاكماً من قبل عبد الرحمن الثاني على مدينة ماردة، ينتهي إلى عائلة من المولدين ذات عراقية ووجهة من منطقة جليقية. الضبي.

كان فيه من أصحاب عمر بن حفصون، وافتتح بافتتاحه حصون البشارة كلها" (ابن السمّاك، 1982).

الواضح من النص سالف الذكر أن عبد الرحمن الناصر بعد أن تعذر عليه فتح حصن شبالش بآلات الحرب وَبَنَلَهُمْ بحجارة المنجنيق، اهتدى إلى ضرب الحصار على المتمردين وقطعه الماء عنهم بغية تعطيشهم، وبالفعل قد تمكن من قهرهم وفتح الحصن عنوة، وبعدها تم له افتتاح باقي الحصون بالمنطقة.

أما في سنة (398هـ/1007م)، فيذكر ابن حيان وابن عذاري أن "الحاجب المظفر خرج بالشاتية... وهي السادسة من غزواته، من قرطبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر من السنة المؤرخة، ورحل حتى احتل حصن شنت مرتين؛ فأمر عبد الملك بحط الأتقال، ونهض المسلمون نحو الحصن لوقتهم؛ فحاصروا الحصن مدة تسعة أيام... تم فيها قذف الأعداء بالمنجنيق والرشق بالنبال، فلما عاين الكفرة الغلبة عليهم، وأضر العطش بهم، عزموا على تسليم الحصن إلى عبد الملك بأمان أنفسهم..." (ابن حيان القرطبي، 1990) (ابن عذاري، 2009).

وبما أن الماء كان عنصراً ضرورياً يستغله القادة العسكريون في فرض الحصار، كان أيضاً بإمكان القادة العسكريين استغلاله لرد العدوان وتفادي ضرر استغلال الأعداء لهذا العنصر الحيوي، مثلما حدث بعد وفاة الحكم المستنصر (366هـ/976م)، فبعدما تقدّمت قوات ليون "جليقية" حتى وصلت قلعة رباح وأحاطتها، اقترح أهل القلعة تدمير وقطع سد نهرهم (نهر آنة)، وذلك لحرمان العدو من استثماره (الأندلسي، 1970)، وبهذا يكونوا قد تفادوا ضرر محاصرة العدو للقلعة.

#### خاتمة:

✓ ترتبط معادلة نقط الماء والحرب بتلك الاستحكامات العسكرية التي ينتهجها القائد في تسيير الجيش مقدراً الظروف المحيطة به، ورسمه لخطة حربية تتكيف والواقع الظرفي للأحداث وتتغير وفق الظروف الطبيعية.

✓ استوجب على القائد الأندلسي أن يأخذ بعين الاعتبار الماء في اختيار الموقع وتقدير الوقت لتحقيق النصر، فبقدر توفيق القائد ومهارته باختيار أصلح المواقع وتقدير الظروف التي تدور فيها المعركة بقدر ما تكون رهانات النجاح كبيرة، لأن الموقع يضمن سلامة الجيش، والوقت يرهن تنفيذ الخطة الحربية.

✓ يتبين البعد الاستراتيجي لنقط الماء بالنسبة للجيش الأندلسي في جعل ضفاف الأودية والأنهار مسرحاً للمواجهات العسكرية وخاصة في محطات توقفه، وفي محطات نزوله.

✓ نهت النصوص المصدرة الأندلسية إلى أهمية نقط الماء ودورها في اختيار مواقع المدن وإنشائها، وتماشياً مع هذا تعددت أوجه توظيف نقط الماء والاستفادة منها في التحصين والحصار والتعطيش.

✓ تؤكد مجريات الوقائع الحربية أن الجيش الأندلسي قد تفتن إلى أهمية الماء فعده من مفاتيح النصر ووسيلة من وسائل الحصار والضغط والتضييق على العدو، وأداة للتوغل نحو الداخل، كما يتضح من خلال التحليل المستند إلى النصوص والدراسات أن الماء كان من العوامل المؤسسة للمنظومة الدفاعية.

### قائمة المراجع:

الطرطوشي أ. ب. (1994). سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبوبكر (01 ط). بيروت: الدار المصرية اللبنانية.

السرغاني ر. (2010). قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط (1 ط). القاهرة: مؤسسة إقرأ.

المهقي أ. ب. (2003). السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا (03 ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القيرواني أ. ز. (1999). النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح: محمد عبد العزيز الدباغ (1 ط، م 3). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المقري ش. أ. (1968). نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس (1 ط، م 1). بيروت: دار صادر.

- ابن حيان القرطبي ا. خ. (1990). كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي (01 ط). بيروت: منشورات دار الأفق الجديدة.
- ابن بطال ع. ا. (2003). شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم (02 ط). السعودية: مكتبة الرشد.
- الشيرزي ع. ا. (2002). المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح: محمد حسن وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القوطية ع. ا. (1989). تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري (02 ط، م 02). القاهرة- بيروت: دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني.
- ابن الخطيب ع. ا. (2003). أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيّد كسروي حسن (01 ط، م 02). بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبد الرحمان جاه ش. (2015). لغز الماء في الأندلس، تر: زينب بنيابة (01 ط). الإمارات العربية المتحدة: مركز أبو ظبي.
- الأندلسي ا. س. (1970). كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، (01 ط). بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن السماك أ. ع. (1982). الزهراء المنتورة في نكت الأخبار المأثورة، تح: محمود علي مكي (01 ط). إسبانيا: المعهد المصري للدراسات الإسلامية.
- ابن عذاري أ. ا. (2009). لبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال (01 ط، م 02). بيروت: دار الكتب العلمية.
- عنان م. ع. ا. (1997). الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال (02 ط). القاهرة: مكتبة الخانجي.

دريدي . و. (2017). المياه زمن النزاعات المسلحة بين وسيلة الحرب والهدف العسكري. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 10(1)، 509-526. استرجع في من <https://asjp.cerist.dz/en/article/59224>

لبنى ز. (2016). الماء والحرب بالمغرب زمن السعديين (916-1069هـ/1510-1659م) (ط). الرباط: دار الأمان.